لَيْلةُ النِّصْفِ

فِي مِيزَانِ العِلْمِ

بحث يتناول أهم قضايا ليلة النصف من شعبان من حيث فضلها ودعائها وتحقيق القول في خلاف العلماء حولها، مع مناقشة الآراء وبيان الراجح منها

تأليف الدكتور

السعيد محمد علي

وكيل وزارة الأوقاف

تمهيد

يحتدّ النقاش ويشتد الجدال– وأحيانا يحتدم الخلاف ويلتهب النزاع – بين العوام والعلماء مع مطلع شهر شعبان من كل عام، حول الاحتفال بليلة النصف وتخصيصها ببعض الدعوات والصلوات وغيرها، حيث يرى البعض أن ذلك مشروعًا، بينما يرى البعض الآخر أنه ليس مشروعًا.

وبعد بحث هذا الموضوع ومراجعة النصوص الواردة فيه والوقوف على درجات هذه الروايات في مظانها الحديثية، تبين أن ما رُوِى حول ليلة النصف يمكن تقسيمه إلى قسمين: الأول: ما هو مشروع نظرًا لصحة أسانيده.

والثاني: ما هو محل نظر، نظرًا لضعف أسانيده.

وإذًا فالأمر ليس من بابٍ واحد، ومن ثم فمن الصعب أن نصل إلى نتيجة واحدة، وهذه نقطة هامة للغاية يجب أن نتنبه لها بين يدي البحث. ثم إن فقه الدين يحتاج إلى عقول نابهة وقلوب مشرقة، فإن قومًا غابت عن الحق عقولهم وعميت قلوبهم، استحقوا وصف الله لهم:{صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}[البقرة:١٧١].

هذا، ولما كان الإنصاف والحيْدة هما سمة التناول بوجه خاص والبحث العلمي بوجه عام، وجب أن يَعيَ القارئ أن الأحاديث التي استشهد بها فريق من العلماء على فضيلة ليلة النصف وفي ذات الوقت ردها فريق آخر، بعضها صحيح وبعضها ضعيف، وأن الضعيف منها قد علت درجته بكثرة شواهده أو روايته على شرط الصحيح.

جدير بالذكر أن مسائل الخلاف بوجه عام تحتاج إلى فهم دقيق وفقه عميق؛ وتحتاج كذلك إلى مزيد من البحوث المستفيضة والمناقشات العلمية والحوارات الهادفة؛ لإمكانية الوصول عبر كل ذلك إلى القول الرشيد والرأي السديد؛ ومن هنا كان بيان ذلك في المباحث التالية:

المبحث الأول

فضل إحياء ليلة النصف من شعبان

يُضفى على ليلة النصف قداسة تاريخية، بل ويُكسبها جلالا ويزيدها بهاءً، حدث تحويل قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى بيت الله العتيق في يوم النصف من شعبان؛ وذلك بعد الهجرة النبوية بنحو ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، استجابة لرغبة الرسول صلى الله عليه وسلم حين أكثر اليهود اللغط حول توجهه في صلاته نحو بيت المقدس، وفي ذلك نزل قول الله تعالى: { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ}[البقرة:١٤٤]، كذلك وردت أحاديث نبوية كثيرة تنوه بشرف هذه الليلة حيث يتقرب فيها الحق سبحانه من عباده الراغبين في فضله وكرمه وإحسانه، وفيها يدعوهم دعوة خاصة إلى مغفرته ورحمته وإنعامه.

ولما قد يفهم البعض أن ليلة النصف نالت شرفها من حدث تحويل القبلة، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما وُجّه إلى تقديم الشكر القولي والعملي لله تعالى على هذا الفضل الإلهي في صورة قيام الليل وصوم النهار كما جاء في الحديث، وجب بيان ذلك وأنه لا علاقة بين الأمرين.

والدليل هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم لو علّل هذا بذاك لصح هذا الفهم، ولكان من قبيل صوم عاشوراء حينما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فوجد اليهود يصومونه لنجاة موسى عليه السلام فيه، فقال:« نَحْنُ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ، وَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ»(١)- بل عزم على مخالفتهم بصوم التاسع من قابل فقال: لَئِنْ عِشْتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ الْيَوْمَ التَّاسِعَ»(٢)- إلا أنه صلى الله عليه وسلم لم يربط بينهما فجاز هذا الفهم وجاز غيره، وأرى أن غيره أولى لما نوهَت إليه النصوص النبوية.

---

١) انظر: سنن ابن ماجه (١/ ٥٥٢)

٢) انظر: مسند أحمد (٤/ ١٦)

ومن ذلك ما رواه ابن ماجه بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُومُوا لَيْلَهَا وَصُومُوا نَهَارَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِيهَا لِغُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: أَلَا مِنْ مُسْتَغْفِرٍ لِي فَأَغْفِرَ لَهُ أَلَا مُسْتَرْزِقٌ فَأَرْزُقَهُ أَلَا مُبْتَلًى فَأُعَافِيَهُ أَلَا كَذَا أَلَا كَذَا، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ".[3]

وَرَوَى رَاشِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ رَاشِدٍ الرَّمْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ أَيْمَنَ عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَرْزَبٍ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:«إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ».[4]

وروى الترمذي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:" فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً فَخَرَجْتُ، فَإِذَا هُوَ بِالبَقِيعِ، فَقَالَ:«أَكُنْتِ تَخَافِينَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَتَيْتَ بَعْضَ نِسَائِكَ، فَقَالَ:«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَغْفِرُ لِأَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ شَعْرِ غَنَمِ كَلْبٍ».[5]

وفي المعجم الكبير للطبراني رَوَى أَحْمَدُ بْنُ النَّضْرِ الْعَسْكَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ آدَمَ الْمِصِّيصِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ عَنِ الْأَحْوَصِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ صُهَيْبٍ عَنْ مَكْحُولٍ عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَطْلُعُ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُمْهِلُ الْكَافِرِينَ، وَيَدَعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدْعُوهُ».[6]

وإزاء هذه الأحاديث وغيرها مما يقف بنا على فضل هذه الليلة؛ أودّ أن أعالج أمرين هامين:

---

(٣) انظر: سنن ابن ماجه (٢/ ٣٩٩) وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان رقم (٣٨٢٢)

(٤) انظر: سنن ابن ماجه (١/ ٤٤٥) والمسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة (٤/ ٣٩١)

٥) انظر: سنن الترمذي (٣/ ١٠٧) ومسند أحمد (٤٣/ ١٤٧)

٦) انظر: المعجم الكبير للطبراني (٢٢/ ٢٢٣)

الأمر الأول: يتعلق بالجانب النظري لهذه الأحاديث، وأعني بذلك قيمتها النصيّة من حيث درجتها والحكم عليها، حتى يطمئن المسلم إلى صحة سندها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الأمر الثاني: يتعلق بالجانب العملي لهذه الأحاديث، سواء من قِبل الرسول صلى الله عليه وسلم أو من قِبل الصحابة أو التابعين رضي الله عنهم، أو من قِبل العلماء العاملين والأولياء الصالحين من المسلمين وإلى يوم الدين.

أما فيما يتعلق بقيمة الأحاديث ودرجتها، فيقول ابن رجب رحمه الله: في فضل ليلة النصف من شعبان أحاديث متعددة، وقد اختُلف فيها، فضعّفها الأكثرون، وصحح ابن حبان بعضها وخرّجه في صحيحه[٧].

كذلك أورد الألباني رحمه الله في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" تحت عنوان:[ما صح في ليلة النصف] حديث الإمام الطبراني « يطلع الله على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن» ثم قال: حديث صحيح، رُوي عن جماعة من الصحابة من طرق مختلفة يشدّ بعضُها بعضًا، وهم: معاذ بن جبل، وأبو ثعلبة الخشني، وعبدالله بن عمرو، وأبو موسى الأشعري، وأبو هريرة، وأبو بكر الصديق، وعوف بن مالك، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين.

وبعد ما تناول سند كل رواية من هذه الروايات السالفة من كتب التخريج المختلفة والمعتمدة، قال: وجملة القول أن الحديث بمجموع هذه الطرق صحيح بلا ريب، والصحة تثبت بأقل منها عددًا، مادامت سالمة من الضعف الشديد كما هو الشأن في هذا الحديث.

وختم كلامه فقال: وعليه فما نقله الشيخ القاسمي رحمه الله تعالى في [إصلاح المساجد] عن أهل التعديل والتجريح أنه ليس في فضل ليلة النصف من شعبان حديث صحيح، فليس مما ينبغي الاعتماد عليه، ولئن كان أحد منهم أطلق

---

(٧) لطائف المعارف، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: عماد زكي البارودي، ط. المكتبة التوفيقية، ص ٢٣٨.

مثل هذا القول فإنما أوتي من قبل التسرع وعدم وسع الجهد لتتبع الطرق على هذا النحو الذي بين يديك.(٨)

ومن ثم – وبعد هذا التخريج الدقيق والإنصاف التام من أحد رجالات الحديث قديماً وحديثاً – يتبين أن أحاديث ليلة النصف من شعبان على أسوأ أحوالها ضعيفة تقبل الحسن أو حسنة تقبل الصحة، وبهذا يندفع الوضع المزعوم من ذوي الثقافة الضحلة.

وأما فيما يتعلق بالجانب العملي لهذه الأحاديث، فقد روى صاحب الأمالي قال: أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ دَعْلَجُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ دَعْلَجٍ قَالَ: حَدَّثنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ النَّيْسَابُورِيُّ قَالَ: حَدَّثنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْجَرَّاحِ قَالَ: حَدَّثنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْوَاسِطِيُّ عَنْ أَبِي نُعْمَانَ السَّعْدِيِّ عَنْ أَبِي رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:" بَعَثَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَائِشَةَ، فَقُلْتُ لَهَا: أَسْرِعِي؛ فَإِنِّي تَرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُحَدِّثُهُمْ بِحَدِيثِ لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقَالَتْ: يَا أُنَيْسُ اجْلِسْ حَتَّى أُحَدِّثَكَ ، عَنْ لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ.

قَالَتْ: كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ لَيْلَتِي، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى دَخَلَ مَعِيَ فِي لِحَافٍ، فَانْتَبَهْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمْ أَجِدْهُ، فَطُفْتُ فِي حُجُرَاتِ نِسَائِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ، فَخَرَجْتُ فَمَرَرْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَوَقَعَتْ رِجْلِي عَلَيْهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَهُوَ يَقُولُ:« سَجَدَ لَكَ خَيَالِي وَسَوَادِي، وَآمَنَ بِكَ فُؤَادِي، وَهَذِهِ يَدِيَ الَّتِي جَنَيْتُ بِهَا عَلَى نَفْسِي، فَيَا عَظِيمُ هَلْ يَغْفِرُ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ إِلا الرَّبُّ الْعَظِيمُ، اغْفِرْ لِيَ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ».

قَالَتْ: ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ:« اللَّهُمَّ هَبْ لِي قَلْبًا تَقِيًّا نَقِيًّا مِنَ الشَّرِّ بَرِيًّا، لَا كَافِرًا وَلَا شَقِيًّا» ثُمَّ عَادَ فَسَجَدَ فَقَالَ:" أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي دَاوُدُ: أُعَفِّرُ وَجْهِيَ فِي التُّرَابِ لِسَيِّدِي، وَحَقَّ لِوَجْهِ سَيِّدِي أَنْ تُعَفَّرَ الْوُجُوهُ لِوَجْهِهِ".

قَالَتْ: ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَنْتَ فِي وَادٍ وَأَنَا فِي وَادٍ، فَدَخَلَ الْحُجْرَةَ وَقَالَ:« يَا حُمَيْرَاءُ أَمَا تَدْرِينَ مَا هَذِهِ اللَّيْلَةُ؟ هَذِهِ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ عُتَقَاءَ مِنَ النَّارِ بِعَدَدِ شَعْرِ غَنَمِ كَلْبٍ».(٩)

---

(٨) راجع: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، (٣/١٣٥-١٣٩)

وفي شعب الإيمان للإمام البيهقي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ عَنْهُ ثَوْبَيْهِ ثُمَّ لَمْ يَسْتَتِمَّ أَنْ قَامَ فَلَبِسَهُمَا فَأَخَذَتْنِي غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ ظَنَنْتُ أَنَّهُ يَأْتِي بَعْضَ صُوَيْحِباتِي فَخَرَجْتُ أَتْبَعَهُ فَأَدْرَكْتُهُ بِالْبَقِيعِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ يَسْتَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالشُّهَدَاءِ، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ فِي حَاجَةِ رَبِّكَ، وَأَنَا فِي حَاجَةِ الدُّنْيَا فَانْصَرَفْتُ، فَدَخَلْتُ حُجْرَتِي وَلِي نَفَسٌ عَالٍ، فَلَحِقَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا هَذَا النَّفَسُ يَا عَائِشَةُ؟ فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي أَتَيْتَنِي فَوَضَعْتَ عَنْكَ ثَوْبَيْكَ، ثُمَّ لَمْ تَسْتَتِمَّ أَنْ قُمْتَ فَلَبِسْتَهُمَا فَأَخَذَتْنِي غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ، ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَأْتِي بَعْضَ صُوَيْحِباتِي، حَتَّى رَأَيْتُكَ بِالْبَقِيعِ تَصْنَعُ مَا تَصْنَعُ، قَالَ:" يَا عَائِشَةُ أَكُنْتِ تَخَافِينَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ، بَلْ أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: هَذِهِ اللَّيْلَةُ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، وَلِلَّهِ فِيهَا عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ بِعَدَدِ شُعُورِ غَنَمِ كَلْبٍ، لَا يَنْظُرُ اللهُ فِيهَا إِلَى مُشْرِكٍ، وَلَا إِلَى مُشَاحِنٍ، وَلَا إِلَى قَاطِعِ رَحِمٍ، وَلَا إِلَى مُسْبِلٍ، وَلَا إِلَى عَاقٍّ لِوَالِدَيْهِ، وَلَا إِلَى مُدْمِنِ خَمْرٍ.

قَالَتْ: ثُمَّ وَضَعَ عَنْهُ ثَوْبَيْهِ، وَقَالَ لِي:" يَا عَائِشَةُ تَأْذَنِينَ لِي فِي قِيَامِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ بِأَبِي وَأُمِّي، فَقَامَ فَسَجَدَ لَيْلًا طَوِيلًا، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ قُبِضَ فَقُمْتُ أَلْتَمِسُهُ، وَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى بَاطِنِ قَدَمَيْهِ فَتَحَرَّكَ فَفَرِحْتُ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ:" أَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ، وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، جَلَّ وَجْهُكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَكَرْتُهُنَّ لَهُ فَقَالَ:" يَا عَائِشَةُ تَعَلَّمْتِهِنَّ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ:" تَعَلَّمِيهِنَّ وَعَلِّمِيهِنَّ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَّمَنِيهِنَّ وَأَمَرَنِي أَنْ أُرَدِّدَهُنَّ فِي السُّجُودِ".(١٠)

وفي الدعوات الكبير لأبي بكر البيهقي عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظِ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو صَالِحٍ خَلَفُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِبُخَارَى قَالَ: حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغْدَادِيُّ الْحَافِظُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ قَالَ: حَدَّثَنِي حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَدَنِيُّ عَنِ

---

٩) انظر: أمالي ابن بشران (٢/٢٣٧، ٢٣٨)

١٠) انظر: شعب الإيمان للبيهقي(٥/ ٣٦٣)

نَصْرِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعْدٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ انْسَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مِرْطِي، فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ أَتَى بَعْضَ نِسَائِهِ، فَقُمْتُ أَلْتَمِسُهُ فِي الْبَيْتِ فوقَعَتْ قَدَمِي عَلَى قَدَمَيْهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَحَفِظْتُ مِنْ قَوْلِهِ وَهُوَ يَقُولُ: سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي، وَآمَنَ لَكَ فُؤَادِي، أَبُوءُ لَكَ بِالنِّعَمِ، وَأَعْتَرِفُ بِالذُّنُوبِ الْعَظِيمَةِ، ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِرَحْمَتِكَ مِنْ نِقْمَتِكَ، وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ.

قَالَتْ: فَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي قَائِمًا وَقَاعِدًا حَتَّى أَصْبَحَ، فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْت وَأُمِّي، أَتْعَبْتَ نَفْسَكَ، أَلَيْسَ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ أَلَيْسَ قَدْ فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ أَلَيْسَ أَلَيْسَ؟ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟ هَلْ تَدْرِينَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟ قَالَتْ: مَا فِيهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: فِيهَا أَنْ يُكْتَبَ كُلُّ مَوْلُودٍ مِنْ مولود بَنِي آدَمَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَفِيهَا أَنْ يُكْتَبَ كُلُّ هَالِكٍ مِنْ بَنِي آدَمَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَفِيهَا تُرْفَعُ أَعْمَالُهُمْ، وَفِيهَا تَنْزِلُ أَرْزَاقُهُمْ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ، قُلْتُ: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى هَامَتِهِ فَقَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ ، يَقُولُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.([١١])

وَرُوِيَ أن عليًا كرم الله وجهه خرج ليلة النصف من شعبان، فقال: إن داود عليه السلام خرج ذات ليلة في مثل هذه الساعة فنظر إلى السماء فقال: إن هذه الساعة ما دعا اللهَ أحدٌ إلا أجابه، ولا استغفر أحدٌ في هذه الليلة إلا غُفر له، وَرُوِيَ عن عمر بن عبد العزيز رحمه لله أنه كتب إلى عامله بالبصرة: عليك بأربع ليال من السنة، فإن الله يفرغ فيهن الرحمة إفراغاً، أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة الأضحى.([١٢])

([١١]) الدعوات الكبير للبيهقي(٢/ ١٤٥)

(١٢) انظر: لطائف المعارف ص: ١٣٧]

هذا فيما يختص بالتطبيق الفعلي أو الجانب العملي الوارد بشأن إحياء ليلة النصف من شعبان، سواء من سنة النبي صلى الله عليه وسلم أو بعض النبيين عليهم السلام أو من هدي الصحابة وسلوك التابعين رضي الله عنهم أو من سيرة العلماء والأولياء والصالحين رحمهم الله تعالى أجمعين.

وهنا؛ وفي ضوء هذا السياق يتبادر سؤال في غاية الأهمية، هو: هل ورد عن أحد من سلف الأمة رضي الله عنهم ما يتنافى وهذا التطبيق الفعلي لليلة النصف من شعبان؟

وإنصافاً للحقيقة أعرض في حيدة تامة ما ذكره ابن رجب الحنبلي رحمه الله بشأن تعدد رؤى بعض التابعين من سلف الأمة في حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان وكيفيته.

يقول- رحمه الله:" إن التابعين من أهل الشام كخالد بن معدان ومكحول ولقمان بن عامر وغيرهم، كانوا يعظمونها ويجتهدون فيها في العبادة، وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها ".

ثم قال:" وأنكر ذلك أكثر العلماء من أهل الحجاز، منهم عطاء وابن أبي مليكة، وقالوا : ذلك كله بدعة ".

لكنه عاد ليعرض اختلاف علماء الشام في حكم وصفة إحياء هذه الليلة على قولين:

الأول: أنه يستحب إحياؤها جماعة في المساجد، إذ كانوا يلبسون فيها أحسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون ويقومون في المسجد ليلتهم، ووافقهم على ذلك إسحاق بن راهويه، وقال: ليس ذلك بدعة.

والثاني: أنه يكره الاجتماع فيها في المساجد للصلاة والقصص والدعاء، ولا يكره أن يصلي الرجل فيها بخاصة نفسه، وهذا قول الأوزاعي إمام أهل الشام وفقيههم وعالمهم.

وأخيرًا مال ابن رجب – كعادة العلماء الأفذاذ – إلى حسم الخلاف من خلال بيان رأيه أو اختياره؛ ليكون بمثابة الملهم لمن ليس أهلًا للرأي والاختيار؛ حيث ذهب مذهب أهل الشام؛ وقال:" هذا هو الأقرب إن شاء الله تعالى"(١٣).

وعلى هذا يتقرر أن إحياء ليلة النصف من شعبان قد دار حوله خلاف بين السلف رضي الله عنهم؛ فأهل الحجاز مالوا إلى الحذر والحيطة في أمور الدين، حيث لم يرد نص واضح في مسألة الإحياء لهذه الليلة على وجه الخصوص، ولذا قالوا : ذلك كله بدعة.

أما أهل الشام فرأوا أن الإحياء لهذه الليلة على وجه الخصوص لا يخالف أصلًا من أصول الشريعة، بل هو الأقرب إلى الشرع الحنيف وفهمه الفهم الصحيح؛ وعليه فهو جائز الفعل عندهم، وإن اختلفوا في الكيف فيما بينهم.

ولعل مما يشهد لهم بصحة ما ذهبوا إليه، قول عطاء بن يسار: ما من ليلة بعد ليلة القدر أفضل من ليلة النصف من شعبان.(١٤)

زد على ذلك، أن نزول الله تبارك وتعالى فيها وقربَه من عباده، يكون من مغرب الشمس وحتى مطلع الفجر، وهذا هو ذات الوصف في ليلة القدر، مع ملاحظة أن النزول في ليلة القدر هو نزول الملائكة فقط، أما النزول في ليلة النصف فهو نزول الرحمن تبارك وتعالى، وهذا ملحظ هام ينبغي الالتفات إلى أهميته والتنبه لشرفه.

---

(١٣) انظر: لطائف المعارف، ص ٢٤٠-٢٤١.

(١٤) انظر: لطائف المعارف، ص ٢٤١.

المبحث الثاني
مشروعية دعاء ليلة النصف

من خلال حديث الإمام البيهقي السالف في فضل إحياء ليلة النصف من شعبان؛ ظهر ما يؤكد قيمة الدعاء في هذه الليلة الكريمة المباركة، حيث وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتئذ قائلة:«فسجد طويلاً وسمعته يقول في سجوده: أعوذ بعفوك من عقوبتك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، جل وجهك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» ثم تقول: فلما أصبح ذكرتهن له، فقال: « يا عائشة تَعَلَمِيهُنَ وعَلِمِهنَّ فإن جبريل عليه السلام عَلَمَنِيهُنَّ وأمرني أن أرددهن في السجود.[١٥]

فإذا انتقلنا إلى الرواية الأخرى عند البيهقي للسيدة عائشة رضي الله عنها رأيناها تضيف قائلة:" كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ لَيْلَتِي، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدِي، فَلَمَّا كَانَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَدْتُهُ، فَأَخَذَنِي مَا يَأْخُذُ النِّسَاءَ مِنَ الْغَيْرَةِ فَتَلَفَّفْتُ بِمِرْطِي فَطَلَبْتُهُ فِي حُجَرِ نِسَائِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ فَانْصَرَفْتُ إِلَى حُجْرَتِي فَإِذَا أَنَا بِهِ كَالثَّوْبِ السَّاقِطِ وَهُوَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: سَجَدَ لَكَ خَيَالِي وَسَوَادِي، وَآمَنَ بِكَ فُؤَادِي، فَهَذِهِ يَدِي وَمَا جَنَيْتُ بِهَا عَلَى نَفْسِي يَا عَظِيمُ يُرْجَى لِكُلِّ عَظِيمٍ، يَا عَظِيمُ اغْفِرِ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ عَادَ سَاجِدًا، فَقَالَ: أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ، أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي دَاوُدُ، أَعْفُرُ وَجْهِي فِي التُّرَابِ لِسَيِّدِي، وَحَقٌّ لَهُ أَنْ يُسْجَدَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: اللهُمَّ ارْزُقْنِي قَلْبًا تَقِيًّا مِنَ الشَّرِّ نَقِيًّا لَا جَافِيًا وَلَا شَقِيًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ فَدَخَلَ مَعِي فِي الْخَمِيلَةِ وَلِي نَفَسٌ عَالٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا النَّفَسُ يَا حُمَيْرَاءُ؟ فَأَخْبَرْتُهُ فَطَفِقَ يَمْسَحُ بِيَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتِي، وَهُوَ يَقُولُ: وَيْحَ هَاتَيْنِ الرُّكْبَتَيْنِ مَا لَقِيَتَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ، لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ يَنْزِلُ اللهُ تَعَالَى فِيهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَغْفِرُ لِعِبَادِهِ إِلَّا الْمُشْرِكَ وَالْمُشَاحِنَ".(١٦)

---

(١٥)انظر: شعب الإيمان للبيهقي(٥/ ٣٦٣)

(١٦) انظر: شعب الإيمان للبيهقي(٥/ ٣٦٤)

نظرة على دعاء ليلة النصف:

يدرك المتأمل في النصوص السابقة الخاصة بدعاء ليلة النصف؛ عدة أمور هامة تتعلق بإحياء هذه الليلة بالصلاة والدعاء والتضرع والر جاء..إلخ، ومن أهم هذه الأمور ما يلي:

١ – مدى ما كان عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم من استغراق في صلاته، حيث وصفت السيدة عائشة سجوده بأنه دام ليلاً طويلاً، كما وصفت كيفيته بالسكون التام، وهذا كناية عن كمال الخشوع والخضوع لله تعالى، امتثالاً لأمره سبحانه: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا}[الإنسان:٢٦]

٢ – ثناؤه صلى الله عليه وسلم على ربه بأكمل صيغ الثناء وأتم ألفاظ المدح والرجاء، كما في قوله لربه: جل وجهك، لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

ومن المعلوم أن الثناء لابد أن يكون بين يدي الدعاء؛ فهذا أرجى للإجابة من الدعاء فقط دون ثناء أو رجاء، وقد نبهنا الحق تبارك وتعالى إلى ذلك من خلال تأمل آيات سورة الفاتحة:{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}[الفاتحة:١–٧]

وفي ذلك يعلمنا الحق تعالى أن الدعاء ينبغي أن يتقدمه الحمد لله والثناء عليه بما هو أهله؛ والرجاء في رحمته وحسن الظن به؛ والطمع في عفوه وصفحه وغفرانه ورضوانه؛ حبذا لو سُبق بالصلاة والسلام على نبيه المصطفى وحبيبه المجتبى ونجيه المرتضى؛ فإن ذلك أتم وأوفي في قبول الدعاء.

وهذا بعض ما تعلمناه من هديه صلى الله عليه وسلم على سبيل المثال في دخول المسجد والخروج منه، فقد روى ابن أبي شيبة بسنده عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»، وَإِذَا خَرَجَ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ»(١٧)

---

(١٧) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (١/ ٢٩٨)

٣ – مناجاته صلى الله عليه وسلم ربه في جوف الليل وأثناء سجوده، بعد التسليم التام والتفويض الكامل، كما يفيده قوله صلى الله عليه وسلم: سجد لك خيالي وسوادي، وآمن بك فؤادي، فهذه يدي وما جنيت بها على نفسي، يا عظيماً يرجى لكل عظيم، يا عظيماً اغفر لي الذنب العظيم.

وهو في كل هذا إنما يجتهد في قربه من ربه؛ ويبالغ في حسن ظنه وامتثال أمره في قوله:{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا}[الإسراء: ٧٩،٨٠]

٤ – دعاؤه صلى الله عليه وسلم ربه أن يرزقه قلباً تقياً، لأنه إذا كان القلب كذلك كان نقياً من الشك والشرك؛ وكان أقرب بصاحبه من ربه إلى درجة لا تدانيها درجة؛ إذ هو محل نظر الحق ولذا يطلق عليه" ديوان الملك".

٥ – حرصه صلى الله عليه وسلم أن يكون كل دعائه على اختلاف أحواله في صلاته فتارة قائمًا وتارة ساجدًا، لأن الدعاء في الصلاة أرجى للقبول، حيث يكون الوصل وتضاعف الأجر والرضا الإلهي على العبد بالمثول مع التذلل والتضرع بين يديه.

٦– هناك صيغ للدعاء يحتاج إليها الإنسان في أوقات وأحوال معينة؛ الأمر الذي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى توجيه السيدة عائشة رضي الله عنها إلى أهمية تعلمها وضرورة تعليمها لجمهور الناس كي ينتفعوا بها في حفظ وتحصين أنفسهم وأموالهم وأولادهم وأهليهم.

وعلى هذا درج الأئمة والصالحون في تربية مريديهم وجميع المسلمين على ترديد الأوراد في غالب الأوقات؛ ليظلوا على ذكر لله تعالى طيلة ساعات الليل والنهار.

.. إنه عبادة وأي عبادة؛ على نحو ما أشار إليه سبحانه في قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[غافر: ٦٠] كذلك صرح صلى الله عليه وسلم بأنه العبادة فيما رواه النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ.(١٨)

---

١٨) انظر: سنن أبي داود (٢/ ٧٦)

وفي رواية عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ».(١٩)

ثم إنه على هذا النحو عبادة؛ في عبادة هي الصلاة؛ في عبادة هي الطهارة؛ ومثال هذا الذي يقرأ القرآن في الصلاة؛ فهو قارئ؛ وهو مصلّ؛ وهو متطهر؛ فله أجر القراءة؛ وأجر الصلاة؛ وأجر الطهارة؛ قال تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}[المائدة:٥٥،٥٦]

قيل: إنها نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه ورضي عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاة، فما كان منه إلا أن طَرح له خاتمه وهو يصلي.(٢٠)

وبهذا تبدو قيمة هذه الصيغة في ليلة النصف والأزمان المباركة خصوصًا وكل الأوقات بعدها واضحة جلية، ويؤكدها تلقين جبريل عليه السلام إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره بترديدها في السجود، مضافاً إليه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم السيدة عائشة رضي الله عنها إياها بتعلمها وتعليمها.

أما في السجود على الأخص، فلما دلت الآيات والأحاديث على فضله، قال تعالى:{ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ }[آل عمران: ٤٣] وقال سبحانه:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[الحج:٧٧]

وروى مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء ».[٢١]

وروى الترمذي والنسائي والحاكم في المستدرك عن عمرو بن عنبسة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:« أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن».[٢٢]

---

١٩) انظر: سنن الترمذي (٥/ ٤٥٦)

٢٠) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٢/ ٥٢)

(٢١) انظر الجامع الصغير للإمام السيوطي، رقم(١٣٤٨)

(٢٢) انظر الجامع الصغير للإمام السيوطي، رقم(١٣٤٩)

العلاقة بين الدعاء وفضل الليلة:

تتضح العلاقة بين الدعاء وفضل ليلة النصف من شعبان من خلال الأحاديث الواردة فيها؛ والتي أشهرها إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم في فضل هذه الليلة بأن الله يغفر فيها لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن، هذا في الوقت الذي توجه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ربه يدعوه أن يرزقه قلباً تقياً من الشرك نقياً لا جافياً ولا شقياً.

ويؤكد هذه العلاقة قول الله تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } [النساء: ٤٨]، وقوله سبحانه :{إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}[المائدة:٧٢]

هذا عن الشرك، أما عن الشحناء فقول الله تعالى:{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}[الحشر:١٠]، وقوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوماً:« يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة[٢٣].

وقصة هذا الحديث تفيد أن الشحناء من أمراض القلوب، ومن ثم كانت سلامة الصدر وطهارة القلب من أسباب البشرى بالجنة، فقد سأل عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما هذا الرجل عن عمل ينفرد به فقال له:" هو ما ترى، إلا أني أبيت وليس في قلبي شيء على أحد من المسلمين، فقال عبد الله: بهذا بلغ ما بلغ [٢٤].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا».(٢٥)

---

(٢٣) انظر: الترغيب والترهيب للمنذري، ط. دار الحديث (١٣/٤)

(٢٤) انظر: لطائف المعارف، ص ١٤٣-١٤٤.

(٢٥) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ط. دار الحديث، (٣٦٤/٨) رقم(٢٥٦٥)

المبحث الثالث
مشروعية دعاء ليلة النصف

وردت صيغة في السنة، اشتهرت بين الخاصة والعامة بدعاء ليلة النصف من شعبان، ومن ثم وجب أن نولي هذه الصيغة عناية خاصة، للتأكد من مدى صحته ومشروعيته.

لقد أخرج ابْن أبي شيبَة فِي المُصَنّف وَابْن أبي الدُّنْيَا فِي الدُّعَاء عَن ابْن مَسْعُود رَضِي الله عَنهُ قَالَ: مَا دَعَا عبد قطّ بِهَذِهِ الدَّعْوَات إِلَّا وسّع الله لَهُ فِي معيشته:" يَا ذَا الْمَنّ وَلَا يمن عَلَيْهِ، يَا ذَا الْجلَال وَالإكرام، يَا ذَا الطول، لَا إِلَه إِلَّا أَنْت، ظهرُ اللاجئين، وجارُ المستجيرين، ومأمنُ الْخَائِفِينَ؛ إِن كنت كتبتني فِي أم الْكتاب شقياً فامح عني اسْم الشَّقَاء وأثبتني عنْدك سعيداً؛ وَإِن كنت كتبتني عنْدك فِي أم الْكتاب محروماً مقتراً عليّ رِزْقِي فامح حرماني وَيسر رِزْقِي وأثبتني عنْدك سعيداً موفقاً للخير، فَإنَّك تَقول فِي كتابك الَّذِي أنزلت{ يَمْحُواْ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}[الرعد: ٣٩](٢٦)

ويعلق الشيخ محمد زكي إبراهيم رحمه الله على هذا الدعاء فيقول: ومثل هذا الدعاء، مع قول ابن عمر فيه، لا يكون أبداً إلا بتوقيف نبوي، فليس من شأن صحابي ولا غيره أن يخبر بجزاء عمل غيبي، وبخاصة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مازال حياً، والوحي ينزل عليه.

أضف إلى ذلك أن آداب الصحابة رضي الله عنهم لا تأذن لهم بأن يقدموا بين يدي الله ورسوله، للأمر الإلهي:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الحجرات:١]

ثم يقول: أما الزيادة على ذلك فليست من مرويات الصحابة، بل هي عن الشيخ ماء العينين الشنقيطي، وقد ذكرها رحمه الله في كتابه: " نعت البدايات" وهو مما لا بأس به.(٢٧)

---

(٢٦) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور لابن عجيبة (٤/ ٦٦١]

(٢٧) راجع: ليلة النصف من شعبان في ميزان الاتصاف العلمي للشيخ محمد زكي إبراهيم، ط. العشيرة المحمدية، الطبعة السادسة، سنة ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، ص ١٤-١٥.

ومن هذا يفهم أن الدعاء في شقه الأول الثابت ذكره آنفًا، هو المعول عليه، فقد ورد عن بعض سادات الصحابة رضي الله عنهم؛ وهذا يكفي في مشروعيته، ويشهد لذلك عدم مخالفته لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية.

وأما ما يدور حول مسألة المحو والإثبات من شبه، فمردها إلى عدم استيعاب نصوصها كاملة، وهذا مما لا يسمح بفقه المسألة على الوجه الصحيح، ولذا لابد من إلقاء نظرة تفصيلية عليها، لإزالة هذه الشبه.

يقول الشيخ رحمه الله:" إنه ما من عبد يطلب من الله خيرًا، إلا كان في معناه طالبًا أن يمحو عنه تعالى في مقابله شرًا، فمثلاً طالب اليسر يسأل الله أن يمحو عنه العسر، وعلى ذلك فقس طالب الصحة والقوة والطاعة والغنى والتوفيق، فإنه يسأل الله بطبيعة الحال أن يمحو عنه المرض والضعف والمعصية والفقر والخذلان.

وهكذا مطالب الإثبات في ناحية؛ هي مطالب محو بالتبعية في ناحية أخرى، وحسبك أن تتدبر بعمق قوله تعالى:{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}[هود:١١٤] سواء أكانت من قبيل محو الأقدار أم محو الشرائع.

ولقد نقل كبار مفسري القرآن الكريم هذا الوجه عن أكثرية السلف، إذ هو المناسب لمعقولية الأشياء، مضافاً إلى ذلك أن قول عمر بن الخطاب لأبي عبيدة رضي الله عنهما:" نفرّ من قدر الله إلى قدر الله"، دليل واضح أيضاً على صدق ذلك.

روى مسلم بسنده عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أَهْلُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ، وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي.

ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي الْأَنْصَارِ، فَدَعَوْتُهُمْ لَهُ، فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي.

ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَى ظَهْرٍ، فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ

أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ – وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُ خِلَافَهُ – نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَتْ لَكَ إِبِلٌ فَهَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ؟!

قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي مِنْ هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ثُمَّ انْصَرَفَ.([٢٨])

وعلى هذا النحو يجب أن تكون عقيدتنا، وإلا وقعنا في عقيدة " الجبر" التي لا تجعل للدعاء أثرًا في رد القضاء؛ ولا للعمل أثرًا في دفع البلاء، وعندئذ يكون أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بالدعاء والعمل نوعًا من العبث؛ وهذا محال.([٢٩])

وحاشا لله فقد قال تعالى:{ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ }[غافر:٦٠] وقال:{ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ}[الفرقان:٧٧]، وفي المعجم الكبير للطبراني عَنْ عَبَايَةَ بْنِ رِفَاعَةَ عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّدَقَةُ تَسُدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السُّوءِ».([٣٠])

وأخرج الحاكم في المستدرك والبزار عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء، فيعتلجان إلى يوم القيامة".([٣١])

---

٢٨) انظر: صحيح مسلم (٤/ ١٧٤٠)

(٢٩) ليلة النصف من شعبان للشيخ محمد زكي إبراهيم، ص ١٧-١٩.

(٣٠) انظر: المعجم الكبير للطبراني (٤/ ٢٧٤)، والجامع الصغير للإمام السيوطي(٣١٧/١) رقم(٥١٤٢)

٣١) انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٦٦٩)

الخاتمة

من خلال المطالعة الدقيقة لأحاديث ليلة النصف من شعبان؛ وأقوال العلماء القدامى والمحْدثين من الفقهاء والمحدّثين وغيرهم؛ يتأكد لنا أن هذه الليلة ليلة مباركة كريمة؛ وأنها قد احتوت على قيمة كبيرة وأهمية عظيمة في هذه الشريعة؛ وذلك بسبب نظر الله تعالى إلى أهل هذه الملة الحنيفية؛ نظر محبة ورحمة وإحسان؛ واطلاعه عليهم اطلاع وُدّ وبِرّ ورضوان؛ مع مزيد تفضله بالمغفرة لهم؛ وتكرمه بالدنو والتقرب منهم؛ ومنّه بالعفو والصفح عنهم.

إلا أننا نتفق مع جمهور العلماء والغالبية العظمى منهم؛ على أن إحياء ليلة النصف من المسائل المختلف فيها؛ ولا يصح أن يكون الحكم فيها لرأي دون رأي أو قول دون قول.

ومن كل هذا نستطيع القول: أن المسألة خلافية قد كثُر فيها الأخذ والرد؛ وعليه فالحكم دائر فيها بين القبول والرفض؛ وهذا أقصى ما يمكن أن يقال؛ والأمر بعد ذلك متروك لمن يروق له هذا أو ذاك؛ ولا يلام من يقبل ولا من يرفض.

وخلاصة القول في إحياء ليلة النصف أنه على الاختيار، فمن شاء فعل ومن شاء ترك، مع الأخذ في الاعتبار أن الاجتهاد في الفعل وتحري الصواب هو الأفضل، وهو ما ترجح لدينا من خلال هذا البحث المتواضع.

وبهذا نكون قد أدينا دورنا في كشف معالم الهدى وبيان وجه الحق؛ ليكون المسلم على بينة من أمره؛ حين يقدم على فعل أمر أو ترك آخر؛ وقد اتضح له الدليل وبان له السبيل.

والحمد لله أن القائلين بالإحياء متفقون على صفة وكيفية هذا الإحياء؛ وأنها لا تكون إلا بوجوه البر وصنوف الخير؛ المادي منها والمعنوي؛ ولم يتطرق الحديث إلى ما فيه خلاف في الصفة والكيفية؛ لتبقى الشرعية هي سمة هذا الإحياء.

وأخيرًا أقول: إن المنكرين قد نجحوا في جرّ غيرهم إلى إعطاء المسألة أكبر من حجمها أو أكثر من حقها في البحث والنقاش؛ والأولى بأهل العلم أن يزنوا

الأمور بمقاييس الشرع؛ وأن يكبحوا جماح العقل والفكر في مسائل الخلاف لتقليل الفجوة بين المثبتين والمنكرين لأيٍّ من القضايا.

ومن جانبي أتمنى لعلماء الأمة وعامة المسلمين؛ أن يسلكوا سبيل الصالحين المهتدين المنصفين؛ ولا يتأثروا بالأفكار التي تذهب بهم بعيدًا عن وسطية الإسلام وسماحة الدين؛ فتلك كانت سرّ سعادة المسلمين في العهود السالفة؛ وهي قادرة كذلك أن تعيد لهم مجدهم التليد لو عادوا بالإسلام إلى سالف عهده.

فلنضرع إلى الله أن يحققنا بمبادئ الإسلام ومعاني الإيمان ومقامات الإحسان؛ وأن يمنحنا عفوه ونصره وفتحه ورضاه؛ وأن يبلغنا جنته ورؤيته وكل ما نتمناه.

اللهم اجعلنا لك كما تريد؛ وكن لنا كما نريد

وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد

يا ولي يا حميد